



أقوال العلماء في كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي

رقم الفتوى: ٦٧٨٤

السؤال

لقد سمعت بأن كتاب إحياء علوم الدين للغزالي يحوي أخطاء ؛ سمعت ذلك من أحد المشايخ لذلك نصحني بعدم قراءته؟ فهل هذا الكلام صحيح؟ وكيف أعلم أن الكتاب الاسلامي الفقهي الذي أقرؤه بلاأخطاء؟ أرشدوني إلى بعض الكتب الفقهية المعتمدةوالمضبوطة. جزاكم الله خيرا.

الإجابــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فأبو حامد الغزالي هو محمد بن أحمد الطوسي الغزالي المتوفي سنة 505هـ.

صاحب التصانيف الكثيرة في الفقه، والأصول، والفلسفة، والكلام، والتصوف، وقد مر رحمه الله بمراحل كثيرة وأطوار متعددة، وعكف في نهاية حياته على دراسة الحديث، فنسأل الله أن يرزقنا الهداية وحسن الخاتمة.

وقد تباينت أقوال الباحثين في حكمهم على الغزالي وتقييم أفكاره ومؤلفاته، ولعل من أسباب ذلك اضطراب الغزالي في عرض أفكاره، وكثرة تنقله من حال إلى حال.

وكذلك كان الحال بالنسبة إلى كتابه إحياء علوم الدين، فقد مدحه قوم حتى غلو في مدحه وقالوا: من لم يقرأ الإحياء فليس من الأحياء، وذمه قوم حتى أفتوا بحرقه ومنعه.

والحق أن كتاب الإحياء فيه نفع كثير، وفيه طامات وبلايا توجب منع قراءته، إلا من الخبير المطلع على عقائد الصوفية والحلولية والفلاسفة، المتحصن بعقيدة السلف الصالح.

وما فيه من الخير موجود في غيره من الكتب، ككتاب: مختصر منهاج القاصدين للمقدسي، وأصله لابن الجوزي الذي اختصره من إحياء علوم الدين، وقال في أوله (فاعلم أن في كتاب "الإحياء" آفات لا يعلمها إلا العلماء، وأقلها

الأحاديث الباطلة الموضوعة، والموقوفة وقد جعلها مرفوعة وإنما نقلها كما اقتراها لا أنه افتراها، ولا ينبغي التعبد بحديث موضوع والاغترار بلفظ مصنوع.

وكيف أرتضي لك أن تصلي صلوات الأيام ولياليها، وليس فيها كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! وكيف أوثر أن يطرق سمعك من كلام المتصوفة الذي جمعه وندب إلى العمل به، ما لا حاصل له من الكلام في الفناء والبقاء، والأمر بشدة الجوع، والخروج إلى السياحة في غير حاجة، والدخول في الفلاة بغير زاد؟! إلى غير ذلك مما قد كشفت عن عواره في كتابي المسمى "تلبيس إبليس"، وسأكتب لك كتاباً يخلو عن مفاسده، ولا يخل بفوائده" انتهى كلام ابن الجوزي.

ونحن ننقل هنا بعض ما قاله العلماء في التحذير من هذا الكتاب.

قال الإمام الطرطوشي المالكي: "فلما عمل كتابه سماه "إحياء علوم الدين" عمد يتكلم في علوم الأحوال ومراقي الصوفية، وكان غير دري بها ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه فلا في علماء المسلمين قر، ولا في أحوال الزاهدين استقر، شحن كتابه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض في مبلغ علمي أكثر كذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، سبكه بمذاهب الفلاسفة ومعاني "رسائل إخوان الصفاء" وهم قوم يرون النبوة اكتساباً، وليس النبي في زعمهم أكثر من شخص فاضل تخلق بمحاسن الأخلاق... إلى أن قال: "وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب بالنار فإنه إن ترك انتشر بين ظهور الخلق، ومن لا معرفة له بسمومه القاتلة، وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سطر فيه مما هو ضلال، فيحرق قياساً على ما أحرقه الصحابة رضي الله عنهم من صحائف المصحف التي كان فيها اختلاف اللفظ ونقص آي منه... وفي دونه من الكتب غنية وكفاية لإخواننا المسلمين، وطبقات الصالحين، ومعظم من وقع في عشق هذا الكتاب رجال صالحون لا معرفة لهم بما يلزم العقل وأصول الديانات، ولا يفهمون الإلهيات، ولا يعلمون حقائق الصفات" انتهى كلام الطرطوشي نقلا عن سير أعلام النبلاء للذهبي 19/334.

وقال الإمام المازري المالكي بعد كلام في نقد الإحياء: "ورأيت له في الجزء الأول يقول: إن في علومه ما لا يسوغ أن يودع في كتاب، فليت شعري أحق هو أو باطل؟!.

فإن كان باطلاً فصَدَق، وإن كان حقاً وهو مراده بلا شك فلم لا يودع في الكتب؟ ألغموضته ودقته؟ فإن كان هو فهمه، فما المانع أن يفهمه غيره؟!" نقله الذهبي في السير 19/340.

وقال القاضي عياض: "والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة والتصانيف الفظيعة، غلا في طريق التصوف، وتجرد لنصر مذهبهم، وصار داعية في ذلك، وألف فيه تواليفه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمة، والله أعلم بسره، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب، وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها، فامتثل ذلك" نقله الذهبي

.19/327

وقال ابن الجوزي في "تلبيس إبليس": (وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب "الإحياء" على طريقة القوم، وملأه بالأحاديث الباطلة، وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة، وخرج عن قانون الفقه، وقال: إن المراد بالكوكب، والشمس، والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حُجُب الله عز وجل، ولم يُرد هذه المعروفات، وهذا من جنس كلام الباطنية) انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (والإحياء فيه فوائد كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة، فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين.

وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه وقالوا: مرضه "الشفاء" يعني "شفاء" ابن سينا في الفلسفة.

وفيه أحاديث وآثار ضعيفة بل موضوعة كثيرة، وفيه أشياء من أغاليظ الصوفية وترهاتهم، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافقة للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة، ما هو أكثر مما يردّ منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه). انتهى من مجموع الفتاوى 10/55.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء 19/339:

(أما "الإحياء" ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب، ورسوم، وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية نسأل الله علما نافعاً. تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن، وفسره الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً، ولم يأت نهي عنه. قال عليه السلام: "من رغب عن سنتي فليس مني" فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في الصحيحين، وسنن النسائي، ورياض النووي وأذكاره تفلح وتنجح. وإياك وآراء عباد الفلاسفة ووظائف أهل الرياضات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنفية السمحة، فوا غوثاه بالله، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم) انتهى كلام الذهبي.

وقد أكثر رحمه الله من النقل عن أبي يزيد البسطامي والحلاج والشبلي، وهم من أهل القول بالاتحاد والحلول، بل ذهب بعض الباحثين إلى أن الغزالي قال بهذا المذهب في كتابه إحياء علوم الدين، وفي بعض كتبه الأخرى.

ولهذا قال شيخ الإسلام عن كتاب مشكاة الأنوار للغزالي: (وهذا الكتاب كالعنصر لمذهب الاتحادية القائلين بوحدة الوجود) بغية المرتاد ص 189 وقال: (وبسبب كلام الغزالي في مشكاة الأنوار تشجع الاتحاديون الملحدون الذين قالوا بوحدة الوجود على ذلك، كقولهم: إن الخلق مجال ومظاهر، لأن وجود الحق ظهر فيها وتجلى) درء تعارض العقل والنقل 10/283.

وهو يحكي في كتابه كثيراً من الأمور التي لا يقبلها العقل، ولا تستقيم على ميزان الشرع دون أن ينكرها. ومن ذلك قوله 4/200 (وقيل له ـ أي بضع العارفين ـ بلغنا أنك ترى الخضر عليه السلام؟ فتبسم وقال: ليس العجب ممن يرى الخضر، ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحتجب عنه)!!.

ونقل عن أبي يزيد البسطامي قوله: (أدخلني ـ الله ـ في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلي وأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلني في الفلك العلوي، فطوف بي في السموات، وأراني ما فيها من الجنات إلى العرش. أوقفني بين يديه فقال: سلني أي شيء رأيته حتى أهبه لك؟ فقلت: يا سيدي ما رأيت شيئاً أستحسنه فأسألك إياه. فقال: أنت عبدي حقا تعبدني لأجلي صدقاً..." الإحياء 4/356.

ونقل عن أبي تراب قوله: (لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة). الاحياء 4/356.

إلى غير ذلك من الأمور المنكرة التي يسميها الغزالي "مكاشفات" ويطالب الناس بعدم إنكارها والاعتراض عليها.

ونختم بما قاله الذهبي رحمه الله (فرحم أبا حامد، فأين مثله في علومه وفضائله ولكن لا ندعي عصمته من الغلط والخطأ، ولا تقليد في الأصول) سير أعلام النبلاء 19/346.

واما الكتب التي ينبغي الاعتناء بها وقراءتها: فأهم ما نوصيك به هو الاعتماد في باب العقيدة على ما كتبه الأئمة المرضيون السائرون على منهج السلف من الصحابة والتابعين ، ككتاب التوحيد للإمام ابن خزيمة ، والتوحيد والإيمان للإمام ابن مندة ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام الطبري اللالكائي ، وكتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ، وكتاب الحجة في بيان المحجة للأصفهاني ، والعقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي مع شرحها للإمام ابن أبي العز الحنفي ، ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، فهذه الكتب وأشباهها تعتمد في ما تقرره على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتعنى بنقل آثار الصحابة وفهمهم وتفسيرهم للكتاب والسنة ، ولا شك ان اتباع فهم الصحابة ضمان من الوقوع في الانحراف .

وأما كتب الفقه فالأمر فيها أيسر وأسهل ، ولكل مذهب من المذاهب المعتمدة كتب ومؤلفات إضافة إلى كتب فقه الخلاف والترجيح ، وكتب أدلة الأحكام وشروحها ككتاب شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ، ونيل الأوطار للشوكاني ، وسبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني .

وأفضل الوسائل لتعلم الفقه - فيما يظهر لنا - : إتقان مذهب من المذاهب ، والتدرج في دراسته ، مع اتباع القول الراجح بدليله عند مخالفة المذهب لغيره من المذاهب . والله أعلم.